

"النقد الثقافي"

إعداد الباحثة:

آمال سليمان السميري



<https://doi.org/10.36571/ajsp8327>

المقدمة:

إن المتأمل للحراك النقدي يلاحظ أنه يتسم بالحركة الدؤوبة، والتطور والتغير المستمر في الرؤى والمناهج بلا انتهاء، وقد شهد القرن العشرون، تحولات في مستوى المفاهيم والنظريات، كما ظهرت محاولات لعلنة الأدب، وإلغاء ما بين الظواهر الأدبية وبين العلوم التجريبية، يضاف إليه ما استفادته من النظريات اللسانية الحديثة، وما حوته من مناهج متعددة، كان لها الأثر الكبير في فتح الآفاق الجديدة للرؤية النقدية، علاوة على ذلك أثرها في تحولات الخطاب النقدي الجديد. وهذه السطور سيكون الحديث، عن أحد المناهج المتميزة في النقد، باعتباره مشروع نقدي وفكري هيمنت فيه جميع الدراسات، لصياغة منهج نقدي أصيل⁽¹⁾.

■ الجانب النظري للنقد الثقافي:

ظهر النقد الثقافي من خلفية فكرية، حاولت أن تتخذ من السياقات التاريخية واللغوية، والقواعد المعرفية للساحة النقدية مقولات، تغيد منها في مقاربة النصوص، فهي تمثل نقلة نوعية من خلال توظيفها للحقول المعرفية في الأفق النقدي⁽²⁾. وعند النظر لمصطلح الثقافة نجد أنه كثير التداول، متسع الأفق في دلالاته وفي اتجاهاته⁽³⁾، "ومن ثم يمكن الحديث عن نوعين من الدراسات التي تنتمي إلى النقد الحضاري، الدراسات الثقافية التي تهتم بكل ما يتعلق بالنشاط الثقافي الإنساني، وهو الأقدم ظهوراً، والنقد الثقافي الذي يحلل النصوص والخطابات الدينية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، وهو الأحدث ظهوراً مقارنة بالأول"⁽⁴⁾.

والنقد الثقافي في بداياته ظهر بحسب تقدير بعض الباحثين، في أوروبا في القرن الثامن عشر، ومع التغيرات الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين، أخذ يكتسب الخصائص على المستويين المعرفي والمنهجي والتي ميّزته عن غيره، ليصبح في بداية التسعينيات من القرن الماضي لوناً من ألوان البحث، ليأخذ الباحث الأمريكي فنسنت ليتش الدعوة إليه كبديل لما بعد البنيوية، فليتش يرى أن التاريخ النقدي تعرض لمعوق، ما بين الثلاثينيات إلى الستينيات من القرن العشرين متمثلاً في الشكلانية وما يشبهه من المناهج، ويرى أن الإعاقة ليست في دراستها الأدب في هذا الاتجاه الشكلي، فهي ممارسة نقدية أدبية، بل لأنها حصرت النقد الأدبي عن الخروج عن الأدب وقيدته به، وذلك من خلال عدم الدخول في أي مسألة لها علاقة بالثقافة خارج النص، لذا جاء النقد الثقافي في مرحلة ما بعد البنيوية ليتدارك آثارها السلبية كما في أعمال رولان بارت، وجاك دريدا- وميشال فوكو.⁽⁵⁾

1- حمزة، شتوان، (2012م)، النقد الثقافي في النظرية الأدبية عبد الله الغدامي أمودجنا، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر، ص: المقدمة.

2 - حمزة، شتوان، (2012م)، النقد الثقافي في النظرية الأدبية عبد الله الغدامي أمودجنا، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر، ص6.

3 - التونجي، محمد (1999م). المعجم المفصل في الأدب. (ط2)، بيروت، دار الكتب العلمية، ص300/1.

4- حمزة، شتوان، (2012م)، النقد الثقافي في النظرية الأدبية عبد الله الغدامي أمودجنا، مرجع سابق، ص15.

5 - الرويلي، ميجان - البازعي، سعد، (200م) دليل الناقد الأدبي، (ط3)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي. 307-308.

أما موقع النقد الثقافي في العالم العربي، فكما مرّ سابقاً من أن الثقافة مصطلح تعلقت بدلالته معانٍ كثيرة منها أنها مرادفة للحضارة، وبهذا المعنى قُدمت منذ منتصف القرن التاسع عشر أعمال يمكن وصفها نقدًا ثقافيًا، في مجال التاريخ والنقد الأدبي والاجتماع والسياسة مما يلتقي مع الثقافة، والأعمال التي قدمت تعد محاولة لتكوين ثقافة عربية، ومحاولة لتقويمها، مثلما نجد في كتابات عبد الوهاب المسيري وطه عبد الرحمن، ومن قبلها كتابات العقاد وجماعة الديوان وبعض المهجريين، غير أن المحاولة التي تبنت النقد الثقافي ولكن برؤيته الغربية، هي محاولة عبدالله الغدامي في كتابه المعنون "النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية"، وهو عمل جاد وورصين، يبحث فيه، ويقدم مباحثه من خلال أدوات النقد الثقافي⁽⁶⁾.

والنقد الثقافي رؤية جديدة للنص باعتباره ظاهرة ثقافية، لذا فهو لا يدرسه من الناحية الجمالية، بل يقوم بالكشف عن الأنساق الثقافية داخله ولذلك "فهو ربط الأدب بسياقه الثقافي غير المعلن، ومن ثم لا يتعامل النقد الثقافي مع النصوص والخطابات الجمالية والفنية على أنها رموز جمالية ومجازات شكلية موحية، بل على أنها أنساق ثقافية مضمرة، تعكس مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولذا فالنقد الثقافي لا يتعامل مع النص باعتباره نصًا، بل باعتباره نسقًا ثقافيًا يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تضرر أكثر مما تعلن⁽⁷⁾" وهذا هو جوهر الاختلاف بين النقد الثقافي و النقد الأدبي؛ فيرى الغدامي أن النقد الأدبي "أدى دورًا مهمًا في الوقوف على جماليات النصوص وتذوقها، لكنه أوقع نفسه وأوقعنا في حالة العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالية، وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة بالجمالي والشعري والبلاغي، لتصبح النماذج الراقية بلاغيًا، هي مصدر الخلل النسقي"⁽⁸⁾ ويرى أيضًا أن النقد الأدبي "غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي"⁽⁹⁾ ثم بعد ذكره للفجوات والعلل التي أحدثها النقد الأدبي، يسوغ ما ذهب إليه بإعلانه لموت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي مكانه⁽¹⁰⁾، بعد ذلك يستدرك دعوته بقوله أن هذه الدعوة لا تعني "إلغاء منجز النقد الأدبي، وإنما الهدف هو في تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره، بغض النظر عن عيوبه النسقية، إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه، وهذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحية"⁽¹¹⁾

فالغلبة بحسب وجهة نظر الغدامي، دائماً للنسق فهو مضمّر لكنه متحكم ومن خلاله تتشكل الدلالات النسقية، كما أنه تاريخي وأزلي وراسخ، وهو يظهر في كيفية استهلاك المنتج الثقافي، ليكون النقد الثقافي نوعًا من أنواع التلقي⁽¹²⁾، أي أن وظيفة النقد الثقافي من كونه نظرية في نقد المستهلك الثقافي، فالإبداع الجمالي ليس المكان الوحيد لاشتغال النقد وحسب، بل هو معني أيضًا بالأنساق التي ينطوي

6 - الرويلي، ميجان – البازعي، سعد، (200م) دليل الناقد الأدبي، 309-310

7 - بوعافية، رياض، (2016م)، واقع النقد الثقافي في المغرب العربي، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر، ص4.

8 - الغدامي، عبد الله، (2005م) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، (ط3)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص: 7-8.

9 - المرجع السابق، ص: 7-8.

10 - الغدامي، مرجع سابق، ص: 8.

11 - الغدامي، مرجع سابق، ص: 8.

12 - المرجع السابق، المرجع سابق، ص: 79.

- الرويلي، ميجان – البازعي، سعد، (200م) دليل الناقد الأدبي، (ط3)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص: 310.

عليها الخطاب الثقافي وهو غير رسمي وغير مؤسساتي، وما هو كذلك سواء بسواء، والنظر في دور كل منهما اتجاه المستهلك الثقافي بحسب قوله ⁽¹³⁾ وهذا ما يسوّغ من وجهة نظره ضرورة تحول النقد، من نقد النصوص إلى نقد الأنساق.

أيضًا يرى الغدامي -وهو ما يمكن اعتباره من وجوه الاختلاف بين النقد الأدبي والنقد الثقافي من حيث الوظيفة- " أن النقد الأدبي معني بكشف الجمالي، فإن النقد الثقافي ليس معني بكشف الجمالي، بل همه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي/ الجمالي، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات، فإن المطلوب إيجاد نظريات في القبحيات لا بمعنى البحث عن جماليات القبح، مما هو إعادة صياغة وتكريس للمعهود البلاغي...، وإنما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي والحس النقدي" ⁽¹⁴⁾

ومن خلال ما سبق يمكن استنتاج سمات ومبادئ النقد الثقافي:

"التكامل: فهو لا يرفض الأنواع الأخرى من النقد، وإنما يرفض هيمنتها منفردة بذاتها." ⁽¹⁵⁾

"التوسع: في منظوره للنشاط الإنساني، فهو منفتح على أشكال متعددة من النشاط ما هو رسمي وغير رسمي، وما هو هامشي وغير هامشي." ⁽¹⁶⁾

"الشمول: يوسع من منظور النقد ليجعله شاملاً لمناحي الحياة، مما يكسب النقد قيمة جديدة من شأنها كشف المضمّر في النص، فهو ليس محدودًا بالنص الأدبي فحسب" ⁽¹⁷⁾.

- أما المبادئ ⁽¹⁸⁾:

- التعامل مع النص على اعتباره علامة ثقافية وليس جمالية وحسب.

- الانفتاح والاستفادة من جميع المناهج.

- تجاوز الأدب الجمالي الرسمي إلى تناول الإنتاج الثقافي أيًا كان نوعه ومستواه.

13 - الغدامي، مرجع سابق، ص: 79-81

14 - الغدامي، مرجع سابق، ص: 84.

15 - أقرين، نعيمة، (2016م)، المرجعيات المعرفية للنقد الثقافي عند عبد الله الغدامي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات قسم الأدب واللغة العربية، الجزائر، ص: 32.

16 - أقرين، نعيمة، المرجع السابق، ص: 32.

17 - المرجع السابق، ص: 33.

18 - المرجع السابق، ص: 34.

■ إجراءات وخطوات النقد الثقافي:

يرتكز النقد الثقافي في خطواته المنهجية وإجراءاته التحليلية، إلى عدد من المفاهيم غير المعهودة والجديدة "فالنسق بدلاً عن النص، والمضمّر بدلاً عن سؤال الدال، وسؤال الاستهلاك الجماهيري بدلاً عن النخبة المبدعة، وسؤال التأثير الذي ينصب على ثنائية المركز والمهمش، أو ثنائية المؤسس والمهمل، أو العمومي أو الخصوصي، وطرح أسئلة ثقافية مركزة ودقيقة"⁽¹⁹⁾.

وكما مر سابقاً فهي ترى النص حاملاً للثقافة، ولذا فقد توجه البحث للنسق الثقافي المضمّر، وعن الدلالات النسقية، بدلاً من الدلالات اللغوية داخل النص⁽²⁰⁾.

أيضاً أصبحت وظيفة النص نسقية ثقافية ولم تعد أدبية، كما يسعى للكشف عن التأثيرات التي تنشأ من الأنساق المضمّرة في الوسط الثقافي والجماهيري. أيضاً تجاوزه للشرح إلى مرحلة التأويل في نقد الخطاب⁽²¹⁾.

أما الخطوات العملية للمنهج لمقاربة النص فيمكن تحديدها فيما يأتي⁽²²⁾:

- مرحلة المناص الثقافي ويدرس فيها العتبات الثقافية.
- مرحلة التشريح الداخلي للنص، وتقنيته بنيوياً وسمائياً وأسلوبياً لفهم ما هو ثقافي.
- مرحلة الرصد الثقافي، وهي رصد للنسق الثقافي المضمّر من خلال المجازات والكنائيات والدلالات النسقية.
- مرحلة التأويل الثقافي، وهي في هذه المرحلة، تستند إلى العلوم والمعارف الإنسانية؛ كالتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، وغيرها من العلوم للكشف عن الأنساق الثقافية، الكامنة في النص، وتقديم النقد في شكل استنتاجات وخلاصات.
- وفي الختام يظهر من خلال ما سبق، أن النقد الثقافي كان حضوره للساحة النقدية، لتقديم رؤية جديدة، تسعى لحل الأزمات الثقافية والمعرفية، التي رافقت مرحلة ما بعد الحداثة، من إسقاط الأدب من نسقه الثقافي وحصره في إطار معين، ومعالجة ذلك بوضعه مرة أخرى في نسقه الثقافي، ومحاولة رؤيته من خلال هذا النسق⁽²³⁾.

19 - حمزة، شتوان، (2012م)، النقد الثقافي في النظرية الأدبية عبد الله الغدامي أمودجاً، مرجع سابق، ص: 42.

20 - المرجع السابق، ص: 42.

21 - المرجع السابق، ص: 42.

22 - المرجع السابق، ص: 42.

23 - الربيعي، مازن- الجريايوي، راسم، (2018م) ديوان نجاح العرسان (فرصة للتلج) قراءة في ضوء النقد الثقافي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، (39)،

المراجع:

- أقرين، نعيمة، (2016م)، المراجعيات المعرفية للنقد الثقافي عند عبد الله الغدامي، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات قسم الأدب واللغة العربية، الجزائر.
- بوعافية، رياض، (2016م)، واقع النقد الثقافي في المغرب العربي، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر.
- التونجي، محمد (1999م). المعجم المفصل في الأدب. (ط2)، بيروت، دار الكتب العلمية.
- حمزة، شتوان، (2012م)، النقد الثقافي في النظرية الأدبية عبد الله الغدامي أنموذجاً، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر.
- الغدامي، عبد الله، (2005م) النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، (ط3)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.
- الربيعي، مازن – الجرياي، راسم، (2018م)، ديوان نجاح العرسان (فرصة للتلج) قراءة في ضوء النقد الثقافي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، (39).
- الرويلي، ميجان – البازعي، سعد، (200م) دليل الناقد الأدبي، (ط3)، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

“Cultural Criticism”

Researcher:

Amal Suleiman Al-Sumairi

Introduction:

A careful observer of the critical movement notices that it is characterized by relentless activity, continuous development, and constant change in visions and methodologies without end. The twentieth century witnessed transformations at the level of concepts and theories, as attempts emerged to secularize literature and eliminate the boundaries between literary phenomena and empirical sciences. Added to this were the benefits drawn from modern linguistic theories and the variety of methodologies it encompassed, which had a great impact in opening new horizons for critical perspectives, in addition to its effect on the transformations of the new critical discourse. These lines will discuss one of the distinguished approaches in criticism, considering it a critical and intellectual project that dominated all studies to formulate an authentic critical methodology.